

تاج العروس من جواهر القاموس

فإِنَّ زَهْرَهُمْ حَمَلُواهُ عَلَى الْكُلِّ . قُلْتُ : وَهَكَذَا فَسَّرَ أَبُو الْهَيْثَمِ الْآيَةَ .
أَيْضاً . قَالَ ابْنُ سَيْدِهِ : وَلَيْسَ هَذَا عِنْدِي عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَهْلُ اللُّغَةِ .
مِنْ أَنْ النَّبِعُضَ فِي مَعْنَى الْكُلِّ . هَذَا نَقَضُ وَلَا دَلِيلَ فِي هَذَا الْبَيْتِ .
لَا زَهْرَهُ إِذْ نَسَمَّا عِنْدِي بِبِعْضِ النَّفُوسِ نَفْسَهُ . قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ
بْنُ يَحْيَى : أَجْمَعَ أَهْلُ النَّحْوِ عَلَى أَنَّ الْبِعْضَ شَيْءٌ مِنْ أَشْيَاءِ أَوْ
شَيْءٌ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا هَشَامًا فَإِنَّ زَهْرَهُ زَعَمَ أَنَّ قَوْلَ لَبِيدٍ : أَوْ يَعْتَلِقُ
إِلْخَ فَادَّعَى وَأَخْطَأَ أَنَّ النَّبِعُضَ هُنَا جَمْعٌ وَلَمْ يَكُنْ هَذَا مِنْ عَمَلِهِ ؛
وَإِنَّمَا أَرَادَ لَبِيدٌ بِبِعْضِ النَّفُوسِ نَفْسَهُ . قَالَ : وَقَوْلُهُ تَعَالَى :
يُصِيبُكُمْ بِعَضُ السِّدِّيِّ يَعِدُّكُمْ " أَزَهْرَهُ كَانَ وَعَدَهُمْ بِشَيْئَيْنِ عَذَابِ الدُّنْيَا
وعَذَابِ الْآخِرَةِ فَقَالَ : يُصِيبُكُمْ هَذَا الْعَذَابُ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ بَعْضُ
الْوَعْدَيْنِ مِنْ غَيْرِ أَنَّ نَفْسَى عَذَابِ الْآخِرَةِ . وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ فِي قَوْلِهِ :
بِعْضُ السِّدِّيِّ يَعِدُّكُمْ " مِنْ لَطِيفِ الْمَسَائِلِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ إِذَا وَعَدَ وَعَدًا وَقَعَّ الوَعْدُ بِأَسْرِهِ وَلَمْ يَقَعَّ بِعَضِهِ فَمِنْ أَيْنَ
جَازَ أَنْ يَقُولَ بَعْضُ السِّدِّيِّ يَعِدُّكُمْ وَحَقُّ اللَّفْظِ : كَلُّ السِّدِّيِّ
يَعِدُّكُمْ وَهَذَا بَابٌ مِنَ النَّظَرِ يَذْهَبُ فِيهِ الْمُتَنَاطِرُ إِلَى الْإِزَامِ حُجَّتِهِ
بِأَيْسَرِ مَا فِي الْأَمْرِ وَلَيْسَ هَذَا فِي مَعْنَى الْكُلِّ وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْبِعْضَ
لِيُوجِبَ لَهُ الْكُلُّ لِأَنَّ النَّبِعُضَ هُوَ الْكُلُّ . وَنَقَلَ الْمُصَنِّفُ فِي الْبَصَائِرِ عَنْ
أَبِي عُبَيْدَةَ كَلَامَهُ السَّابِقَ إِلَّا أَنَّ زَهْرَهُ ذَكَرَ فِي اسْتِدْلَالِهِ قَوْلَهُ
تَعَالَى : " وَلَا يُبَيِّنَ لَكُمْ بِعَضِ السِّدِّيِّ تَخْتَلِفُونَ فِيهِ " أَيْ كَلُّ وَذَكَرَ
قَوْلَ لَبِيدٍ أَيْضاً . قَالَ : هَذَا قُصُورٌ نَظَرَ مِنْهُ وَذَلِكَ أَنَّ الْأَشْيَاءَ عَلَى
أَرْبَعَةٍ أَضْرُبٍ : ضَرْبٍ فِي بَيَانِهِ مَفْسَدَةٌ فَلَا يَجُوزُ لِصَاحِبِ
الشَّرِيعَةِ بَيَانُهُ كَوَقْتِ الْقِيَامَةِ وَوَقْتِ الْمَوْتِ . وَضَرْبٍ مَعْقُولٍ يُمَكِّنُ
لِلنَّاسِ إِدْرَاكَهُ مِنْ غَيْرِ نَبِيٍّ كَمَعْرِفَةِ الْوَقْتِ وَمَعْرِفَةِ خَلْقِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ فَلَا يَلْزَمُ صَاحِبَ الشَّرْعِ أَنْ يُبَيِّنَ لِأَهْلِ تَرَى أَنَّ أَهْلَ
مَعْرِفَتِهِ عَلَى الْعُقُولِ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ " قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ " وَقَوْلِهِ : " أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَائِكُوتِ السَّمَوَاتِ " وَضَرْبٍ يَجِبُ
عَلَيْهِ بَيَانُهُ كَأَصُولِ الشَّرْعِيَّاتِ الْمُخْتَصَّةِ بِشَرْعِهِ . وَضَرْبٍ يُمَكِّنُ

الْوُقُوفُ عَلَيْهِ بِمَا يُبَيِّنُهُ صَاحِبُ الشَّرْحِ كَفُرُوعِ الْأَكْثَامِ . فَإِذَا
اِخْتَلَفَ النَّاسُ فِي أَمْرٍ غَيْرِ الَّذِي يَخْتَصُّ بِالنَّبِيِّ بِبَيَانِهِ فَهُوَ
مُخَيَّرٌ بَيْنَ أَنْ يُبَيِّنَ وَيُخَيَّرَ أَنْ لَا يُبَيِّنَ حَسَبَ مَا يَقْتَضِيهِ
اجْتِهَادُهُ وَحِكْمَتُهُ . وَأَمَّا الشَّاعِرُ فَإِنَّهُ عِنْدَ نَفْسِهِ . وَالْمَعْنَى إِلَّا
أَنْ يَتَدَارَكَهُ الْمَوْتُ لَكِنْ عَرَّضَ وَلَمْ يُصَرِّحْ تَفَادِيًا مِنْ ذِكْرِ
مَوْتِ نَفْسِهِ فَتَأْمَلُ .

بغض